الأخلاق في رسائل النور للنورسي

أ.د .مزاحم علاّوي الشاهري(*)

حمل الدين الإسلامي نظاما شاملا للحياة، ونالت الأخلاق من نظامه أهمية استثنائية وهي دليل على حسن استقامة المرء وعلاقته السليمة بالله عز وجل فمن صفات أهل الدين حسن الخلق، والخلق بسكون اللام وضمها السجية وفلان (يتخلق) بغير خلقة أي يتكلف، و"الخلقة" الفطرة وفلان خليق بكذا أي جدير به والخليقة الطبيعية والخلوق بالفتح ضرب الطيب(١) وقال زهير ابن أبي سلمى.

ومهما تكن عند امرئ من خليقة ولو خالها تخفى على الناس تعلم(٢)

أما اصطلاحا: "فإنها حال النفس راسخة بقدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر ورويه" فهي صفة إنسانية مترسخة في النفس البشرية ومن مظاهرها السلوك الذي يعتبر دليلا لها، والعلم الذي يختص بذلك فهو علم الأخلاق(٣)، والخلق العظيم كما ورد في التفسير هو الدين العظيم وآداب القران وقال نبينا محمد صلى الله عليه وسلم: "إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مكارم الْأَخْلَاقِ(٤)، وقد مدح الله سبحانه وتعالى نبيه العظيم بقوله عز من قائل ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم: ٤) .

(*) رئيس قسم الدراسات التاريخية، جامعة لاهاي، فرع الموصل حالياً، العراق.
Mozahim_a@yahoo.com

(١) محمد بن أبي بكر عبدا لقادر الرازي – مختار الصحاح:١٨٧.

(٢) أبو جعفر احمد بن محمد النحاس – شرح القصائد التسع المنشورات تحقيق احمد خطاب، دار الحرية (بغداد:١٩٧٣) ق٣٥٤،١.

(٣) نزار عبدا لغفار عبدا لمجيد-حي على الفلاح –فضائل والأخلاق، ط٤، مطبعة الميناء، (بغداد:٢٠٠٢):٦

(٤) رواه احمد والحاكم والبيهقي.

أولا: علم الأخلاق عند علماء المسلمين :

نظر الإسلام إلى "الأخلاق الحميدة" سواء كانت منتمية إلى هذا الموروث أو ذاك على أنها تقع ضمن دائرته ،كما دعا إلى اخذ الحكمة ، وقال الرسول صلى الله عليه وسلم "إن من أخيركم أحسنكم خلقاً[١] وقال أبو ذر لما بلغه مبعث النبي صلى الله عليه وسلم " قَالَ لِأَخِيهِ ارْكَبْ إِلَى هَذَا الْوَادِي فَاسْمَعْ مِنْ قَوْلِهِ فَرَجَعَ فَقَالَ رَأَيْتُهُ يَأْمُرُ بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ[٢]، وعن انس رضي الله عنه قال ": خدمت النبي صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لي أف ولا لِمَ صنعت ولا ألاّ صنعت[٣]، ومع ذلك فقد تأخر التأليف في الأخلاق داخل الموروث الإسلامي كما صار التنافس ظاهرا بين أنصار الموروث اليوناني والموروث الفارسي، فبدأ يتكون شعور لدى علماء الدين بالحاجة إلى "علم أخلاق إسلامي" فجرت محاولات تهدف صراحة أو ضمنا إلى "اسلمة الأخلاق" "فبدا التأليف داخل هذين الموروثين بالاستناد إلى مرجعياتهما لاكفعل بل كرد فعل، كما برز طرف آخر عني بعلم الأخلاق الذين ألفوا في ما اسموه بـ" علم المعاملة[٤].

لقد ظهر التأليف في الأخلاق من المنظور الإسلامي خارج مجال الفقه و الآداب الشرعية واضحا على يد أبي عبدا لله الحارث بن أسد المحاسبي (١٦٥-٢٤٣هـ/٧٨١ - ٨٥٧م)[٥]، وفي كل ذلك كان المحاسبي واعيا إلى انه يؤسس لعلم جديد سماه علم "أخلاق الدين" وعلم "أخلاق الآخرة" أما مرجعيته فكانت هي القرآن[٦].

ثم ألف الماوردي (٣٧٤-٤٥٠هـ-٩٨٤-١٠٥٨م) كتاب أدب الدين والدنيا[٧]، يقول الماوردي "وأعظم الأمور خطرا وقدرا وأعمها نفعا ورفدا ماستقام به الدنيا و الدين[٨]،

---

(١) أبو عبدا لله محمد بن إسماعيل البخاري- صحيح البخاري، دار أحياء التراث (بيروت:دت) ١٥/٧ باب لم يكن النبي فاحشا و لامتفحشا.

(٢) البخاري- صحيح البخاري:١٦/٧ باب حسن الخلق

(٣) البخاري- المصدر نفسه:١٧/٧ باب حسن الخلق

(٤) محمد عابد الجابري- العقل الأخلاقي العربي، ط١، نشر مركز دراسات الوحدة العربية (بيروت: ٢٠٠١): ٥٥-٥٧.

(٥) المرجع نفسه:٥٣٨-٥٦٠.

(٦) المرجع نفسه ٥٥٠ وما بعدها.

(٧) المرجع نفسه:٥٦٢-٥٦٩.

(٨) أدب الدين والدنيا، دار الكتب العلمية (بيروت-١٩٩٣):٣

وان مشروع كتاب الماوردي في تشييد "أخلاق إسلامية" قد واجه مشاريع جاءت بعده، أو على الأقل قد قدمت ماتعتبره، بديلا، وأقربها مشروع معاصره، الراغب الأصفهاني المتوفى في القرن السادس للهجرة - الثاني عشر للميلاد (حوالي٥٠٢هـ/١١٠٨م) وكتابه في الأخلاق الموسوم "الذريعة إلى مكارم الشريعة"[١] الذي يعتبر من أهم كتبه على الإطلاق ويقال أن الغزالي كان يستصحبه معه"[٢].

ويأتي أبو حامد الغزالي (٤٥٥-٥٠٥هـ) ليضيف إلى هذا المشروع كتابين في الأخلاق "ميزان العمل" و"إحياء علوم الدين" أما ميزان العمل فهو كتاب موضوعه "العلم العملي" الذي يقسمه الغزالي إلى ثلاثة علوم (تدبير النفس) و (تدبير المنزل) و(تدبير المدينة)[٣]، أما كتابه" أحياء علوم الدين" من سياق تطور الفكر الأخلاقي في الإسلام، فهو يتوج تلك المحاولات التي بدأت داخل الموروث اليوناني في الأخلاق مع العامري ومسكويه ونضجت مع الراغب الأصفهاني[٤]، وتقف كتابات العز بن عبد السلام[٥]، (٥٧٧-٦٦٠هـ/١١٨١-١٢٦١م) وبشكل خاص كتاب "قواعد الأحكام في مصالح الأنام" وكتاب "شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال والأعمال" من اهم ما كتبه في الأخلاق[٦]، وإذا كان العز بن عبد السلام قد تناول أخلاق المصلحة العامة التي تعتمد القران أساسا فان رسالة تقي الدين بن تيميه (٦٦١-٧٢٨هـ/١٢٦٢-١٣٢٧م) الموسومة "السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية"[٧]، تعد استدراجا وتكملة لمشروع الأخير[٨].

---

(١) تحقيق أبو اليزيد العجمي، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع(مصر:١٩٨٧).

(٢) كارل بروكلمان- تاريخ الأدب العربي ونقله إلى العربية د.رمضان عبد التواب،دار المعارف (مصر:١٩٧٥) ٢١١/٥

(٣) ميزان العمل، نشر سليمان دنيا،دار المعارف(القاهرة:١٩٦٤).

(٤) الغزالي- المصدر نفسه:٢٣٠-٢٣٢، الجابري- المرجع السابق، ٥٨٣-٥٨٥.

(٥) هو أبو محمد عزا لدين، عبدا لعزيز بن عبدا لسلام السلمي الشافعي المولود في دمشق من أسرة فقيرة، نشأ وتولى للتدريس في دمشق ثم هاجر إلى مصر سنة ٦٣٩هـ- ٢٤١م بسبب تعرضه لاضطهاد وحاكمها الصالح إسماعيل من الأيوبيين فتولى في القاهرة القضاء والفتوى ودرس الفقه الشافعي وله مؤلفات كثيرة للمزيد عنه ينظر الزركلي –الأعلام، ط٣، (بيروت:١٩٦٩):٢١/٤، الذهبي- سير إعلام النبلاء:٢١/٤.

(٦) الجابري- المرجع السابق:٥٩٥-٦١٤.

(٧) نشر دار الكتاب العربي (القاهرة: ١٩٦٩).

(٨) الجابري-المرجع السابق:٦١٥-٦١٨.

إن جهود علماء الإسلام لم يتوقف عن العطاء وإذا كان ماذكرناه هو غيض من فيض فان رسائل النور للأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي (١٢٩٣-١٣٧٩هـ/١٨٧٦-١٩٦٠م) النابعة من فيض القران العظيم تشمل منظومة أخلاقية قرآنية متكاملة.

ثالثا:مرجعيات الأخلاق في رسائل النور:-

١- القران الكريم:

يستمد النورسي مرجعيته الأولى من القرآن الكريم وكان عماده في تأليف رسائل النور التي أصبحت حتى ١٩٥٠ في أكثر من ١٣٠رسالة[١].

يقول النورسي: "إن أستاذي و مرشدي...القران الكريم"[٢]، وهو يشرح في موضع آخر ذلك بقوله:"إن للقران جامعية خارقة من خمس جهات"[٣]، لقد تشبع النورسي بالتأملات القرآنية وظل تلميذا بين يدي القران ينهل من علومه ويأخذ عنه الفيوض والأسرار الربانية[٤]، وكان القران رفيقه حيث مكث أو سار[٥]، فلقد جمع النورسي في منهجه القرآني تدفق فيوض الروح وانسيابية معانيها العقل الفحاص المتأمل[٦].

٢-السنة النبوية الشريفة:

أما مرجعيته الثانية فهي السنة النبوية الشريفة فلا ينبغي لمؤمن أن يتجاوزها فهو يرى "أن الحياة المحمدية- المادية والمعنوية-مترشحة من روح الكون[٧].

---

(١) سعيد النورسي- حقيقة التوحيد، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، مطبعة العاني (بغداد:١٩٨٥): ٩.

(٢) لوامع في معارف الإيمان وأدب القرآن، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ط١، مطبعة اوفسيت الزمان (بغداد:١٩٩٢):١١.

(٣) النورسي- المصدر نفسه:٦٢-٦٤.

(٤) النورسي- دليل الخدمة لتلاميذ القران :٤٧، نقلا عن مقدمة السنة النبوية للنورسي، عرض وتعليق أديب إبراهيم الدباغ ط١، مطبعة اوفسيت الشعب، (بغداد: ١٩٨٥) :١٤

(٥) نجم الدين شاهين أر- ذكريات عن سعيد النورسي، ترجمة أسيد إحسان قاسم الصالحي – ط١،مطبعة الحوادث (بغداد-١٩٨٦): ١١٩.

(٦) سعيد النورسي- مختارات من المثنوي العربي النوري- اختارها وقدم لها أديب إبراهيم الدباغ، ط١، مطبعة الزهراء الحديثة (الموصل:١٩٨٣): ٢٤.

(٧) النورسي- المصدر نفسه:١٢٢-١٢٣

يقول: "المؤمن يحيا بين كونين كبيرين عظيمين: كون يحيط به من أرجائه بأرضه وسمائه... وكون اكبر وأعظم وأسمى وأعلى، هو القران الكريم... والسنة النبوية الشريفة هي ملتقى الكونين ومجمع البحرين وبرزخ مابين العالمين"[١] ومن هنا فهو يحث المؤمن على إتباع السنة والعمل بها لأنها سكينة لقلبه وعبادة دائمة وهي طريق ورثة النبوة من الصحابة الكرام والسلف الصالح[٢].

ومن هنا فقد أكد في "شمس النبوة" على أهمية السنة بالنسبة للإنسان و العالم، فنبوة " احمد" عليه الصلاة والسلام في الظهور والوضوح و القطعية بدرجة الشمس في وسط، وهل يحتاج النهار إلى دليل"[٣]، ثم يقدم لنا شرحا في "السنة حياة "لماهية السنة، إن لسنة الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم ثلاثة منابع هي كذلك ثلاثة أقسام: الفرائض، النوافل، عاداته الحسنة (وكل عاداته صلى الله عليه وسلم حسنة) [٤].

يصف النورسي نور محمد صلى الله عليه وسلم بقوله: "اعلم أنه بينما ترى العالم كتابا كبيرا ترى "محمد" عليه الصلاة والسلام مداد الكاتب"[٥].

ومن هنا فقد حذر المرء من الانحراف عن السنة، لان نورها نجوما ومصابيح تنير الطرق المظلمة المضلة[٦] وحاجة المسلم إلى السنة حاجة دائمة و ملحة يقول النورسي: "إن سنة هذا النبي الكريم وحركاته هي أفضل نماذج للاقتداء وأكمل مرشد للأتباع و السلوك واحكم دستور وأعظم قانون يتخذه المسلم أساسا في تنظيم حياته" [٧] ومن هنا فقد خاطب أهل الإيمان قائلا "يا معشر أهل الإيمان... إن خنادقكم الحصينة هي سنة نبيكم عليه أفضل الصلاة والسلام.." [٨] يقول النورسي:" اعلم أن النبوة في البشرية

---

(١) النورسي-السنة النبوية:٩٦.

(٢) النورسي-السنة النبوية:٩٧.

(٣) النورسي- مختارات من المثنوي:٥٠

(٤) النورسي- السنة النبوية:٢٦.

(٥) مختارات:٤٢-٤٣.

(٦) مختارات:٣٤.

(٧) السنة :٢٧.

(٨) حقائق الإيمان :٤١.

فذلكة الخير وخلاصه الكمال وأساسه وأتم الدين الحق فهرس السعادة..."[١]، وفي ضوء هذه الحقائق الساطعة والبراهين الدامغة يقرر النورسي في لوامعه ذلك التلاحم بين القرآن والسنة في مجال الفقه والتشريع وهما متكاملان[٢] .

الأخلاق في رسائل النور

اقترنت كلمة "الإيمان" في القران الكريم بألفاظ وعبارات أخرى تشير إلى وجهته الاجتماعية ومضمونه الإنساني ومن العبارات التي تتكرر في القران الكريم بعد لفظ الإيمان عبارة "العمل الصالح" كقوله تعالى ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ (البقرة: ٢٥) ، ولذلك وجب وصفها بأنها "أخلاق العمل الصالح"[٣] ومن هنا فقد شدد النورسي على ذلك و خاطب أهل الإيمان بقوله:" يامعشر أهل الإيمان: إن درعكم ... التقوى المصنوعة في دوحة القران الكريم .."[٤]، لان في ذلك امتثال لأوامر الله التي هي غاية العبارة، فيها ينال المؤمن رضا الله سبحانه وتعالى أما"ثمراتها وفوائدها فهي أخروية"[٥] ويضيف النورسي أن لصاحب هذا العالم رحمة وسعت كل شئ[٦].

من هنا فقد كشفت "رسائل النور "للأستاذ النورسي عن حقوق الآخرة وحقوق الدنيا ،وجسد بذلك ماامرنا به الله عز وجل بقوله ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ (القصص: ٧٧)"، وهو ما سيعبر عنه بـ"أخلاق القران " والتي يمكن تصنيفها إلى :-

أولا: حقوق الخالق :

صنف خالص لله كالإيمان بالله وكتبه ورسله ، أما الإيمان بالله فيقول عنه النورسي: "إذا آمنت بالله وحده وأصبحت عبداً له وحده، فزت بموقع مرموق فوق الجميع

---

(١) حقائق الإيمان: ١٠٣.

(٢) لوامع ٢٢-٢٣.

(٣) الجابري- المرجع السابق: ٥٩٣-٥٩٤.

(٤) من كليات رسائل النور "حقائق الإيمان " ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ط١، مطبعة العاني (بغداد: ١٩٨٤): ٤١

(٥) النورسي - حقائق الإيمان : ١٠٩

(٦) مختارات من المثنوي : ١٢٥-١٢٦.

المخلوقات"[١]، وبين في موضع آخر أن الإنسان بعد مجيئه إلى هذا العالم له عبودية من ناحيتين[٢].

فالله سبحانه وتعالى قد غرس عبادته في فطرة الإنسان فهي في ذاته يقول النورسي "مادام الميل نحو الكمال قانونا فطريا في الكون فقد أدرج في فطرة البشرية"[٣]، وبسبب هذه الفطرة البديعة، فقد منحه الله استعداد جامحاً لبذور الكمال[٤]، فمن حقوق الله على الإنسان التوحيد الذي يصفه النورسي بقوله: "التوحيد خفيف على اللسان ... ثقيل في ميزان الأفكار والتطورات..."[٥]، فـ"الإيمان" كما يصفه النورسي " نور حياتنا، ضياء روحنا، روح أرواحنا[٦]، و"الإيمان " "يسمو بنور الإيمان إلى أعلى عليين فيكتسب بذلك قيمة تجعله لائقا بالجنة ،بينما يتردى بظلمة الكفر أسفل سافلين فيكون في وضع يؤهله لنار جهنم[٧]، وعلى هذا الأساس فـ"التوحيد "ضرورة للإيمان[٨]، والإيمان يقتضي الدعاء ولذلك فهو وساطة بين المؤمن وربه، فهو مغروس بالفطرة، وفي الوقت نفسه فان الله سبحانه وتعالى "يدعو الإنسان إلى الأمر نفسه فيقول ﴿قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾" (الفرقان: ٧٧)، وقوله تعالى: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ (غافر: ٦٠) ، وبخلاف ذلك فان الكفر سيؤدي إلى " قطع الانتساب إلى الله .... ويهدم ... الماهية الإنسانية ويحيلها من جوهرة إلى فحمة خسيسة"[٩]، كما انه "إساءة وتخريب وتكذيب[١٠].

---

(١) الإيمان وتكامل الإنسان :٣٤.

(٢) الإيمان وتكامل الإنسان : ٤٧-٤٨

(٣) الخطبة الشامية ، ترجمة إحسان قاسم ، دار الاحمدية للنشر (البيضاء : ٢٠٠١): ٣٩ .

(٤) الإيمان وتكامل الإنسان :٣٩ .

(٥) الطبيعة ، ترجمة إحسان قاسم الصالحي ، عرض وتعليق أديب إبراهيم الدباغ ،ط١، مطبعة الزهراء (الموصل: ١٩٨٥) :٦٣-٦٦

(٦) لوامع :٧٤.

(٧) الإيمان وتكامل الإنسان :٢٠.

(٨) الإيمان وتكامل الإنسان :٢٦.

(٩) الإيمان وتكامل الإنسان :٢٢.

(١٠) الإيمان وتكامل الإنسان:٣٤-٣٥.

ومن موجبات حقوق الله على الإنسان الإيمان بكتبه ففي مقالته القرآن ... ماهو؟ يجيب على ذلك بروح المؤمن وبصيرة العالم فيقول: "هو الترجمة الأزلية لهذه الكائنات"[١]، أما الإيمان برسله ، فهو حق الله على عباده، ومن هنا فان النبوة ضرورة للبشرية[٢]، والنبوة كما يصفها النورسي: "المرآة التي تنعكس عليها صورة "الإنسان المؤمن "كما يريده الله سبحانه وتعالى"[٣]، إذن إن من ينكر آية حقيقة إيمانية فانه يتردى إلى الكفر المطلق، فالمسلم "الذي لايعرف محمداً عليه الصلاة والسلام ولا يصدق به فلا يعرف الله سبحانه (بصفاته) ولا يعرف الآخرة كذلك "[٤].

ب- صنف ثاني يتركب من حقوق الله وحقوق العباد: كالزكاة والصدقات وفي هذا الصنف يقدم لنا النورسي أمثلة مهمة ودروساً قيمة تبدأ بالفرد وتنتهي بالبشرية، فيقرر أولا "إن معدن جميع الاضطرابات والقلاقل والفساد واصلها، ومحرك جميع أنواع السيئات والأخلاق الدنية ومنبعها ... جملتان فقط .. الأولى: إذا شبعت أنا فمالي إن مات غيري من الجوع، والثانية تحمل أنت المشاق لأجل راحتي، اعمل أنت لأكل أنا، لك المشقة وعليّ الأكل بهذه الجمل يلخص أصل العلة وأساسها، ولكنه يتصدى لها ويعالجها، أما الدواء الشافي الذي يستأصل شافه السم القاتل في الأولى فهو الزكاة التي هي ركن من أركان الإسلام بينما يجتث الثانية هو تحريم الربا[٥]. ولما كانت فريضة الزكاة واجبة على كل مسلم ومسلمة لديه النصاب من المال الذي يستوجب الزكاة، وهي فريضة إجبارية لقوله تعالى ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بها﴾ (التوبة: ١٠٣)"، كانت وما تزال الزكاة عنصرا مهماً في بناء المجتمعات والبشرية جمعاء[٦]. وأضاف: "إن أرادت البشرية دوام الحياة فعليها أن تستمسك بالزكاة وتطرد الربا" [٧].

---

(١) لوامع في معارف الإيمان وأدب القران :١٤.

(٢) لوامع :١٩.

(٣) السنة النبوية :٤١.

(٤) النورسي-الثمرة من شجرة الإيمان ، ترجمة إحسان قاسم الصالحي ، ط١، مطبعة الزهراء (الموصل:١٩٨٥): ٨٠.

(٥) لوامع :٢٨

(٦) لوامع :٢٨.

(٧) لوامع :٢٩.

ج- صنف يتركب من حقوق الله وحقوق رسوله وحقوق العباد:-للصلاة فضائل كثيرة منها ظاهرة ومنها باطنه[١]. قال تعالى ﴿إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ (العنكبوت: ٤٥)". وقال الرسول الله عليه الصلاة والسلام" قَالَ أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللهُ بِهِ الْخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ وَكَثْرَةُ الخطى إِلَى الْمَسَاجِدِ وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ فَذَلِكُمْ الرِّبَاطُ"[٢]،

لقد أعلن النورسي في مجلس الأمة التركي في دورته الأولى قائلاً: "إن أسمى حقيقة في الكون هي الإيمان وتليه الصلاة "[٣]. وفي موضع آخر من رسائل النورسي يوضح أن العبادة قسمان[٤]، وفي الكلمة الرابعة الموسومة "الصلاة عماد الدين" يقول "أن الصلاة بذاتها راحة كبرى للروح والقلب والعقل معاً ..[٥]، ويضيف قائلاً: "الصلاة فهرس نوراني شامل لجميع العبادات، وخريطة سامية تشير إلى أنماط العبادات للمخلوقات جميعاً "[٦].

ثانيا: أخلاق المؤمن:

يقول عز وجل ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ (المائدة: ٢) ويقول عز من قائل ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (النحل: ٩٠)" إن هذا الصنف من الحقوق التي تقع على المكلفين تنحصر في التعامل بالأخلاق الحسنة كما وردت في الكتاب والسنة، لان النفس البشرية تحتوي صفاتا للخير والشر لقوله تعالى ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ (الشمس: ٧-٨) فـ"الإيمان "كما يصفه النورسي يشيع بالأخوة بين المؤمن وبين كل شئ، والكفر يبنى الحواجز والسدود بين الإنسان والكائنات المحيطة به، ويعمق الأنانية والإحساس بالغربة عن هذا العالم[٧]، وما ابلغ

---

(١) عبد المجيد – المرجع السابق :١٥٥

(٢) صحيح مسلم – فضل إسباغ الوضوء على المكاره ٢: ٥٧.

(٣) الإيمان وتكامل الإنسان :٥٤.

(٤) زهرة النور:٧

(٥) حقائق الإيمان :١٥.

(٦) حقائق الايمان ، ١٦- ١٨ .

(٧) مختارات من المثنوي ، ٣٣.

عباراته عندما وصف أكسير الإيمان بقوله: إذا دخل في القلب يصير الإنسان جوهراً لائقاً للأبدية والجنة، وبالكفر يصير خزفا خاليا فانيا، ولكي تكون الإخوة خالصة لله ،مترفعة عن الصغائر الدنيوية لابد من محبة [١]، يقول النورسي: " اجعل محبتك في سبيل الله لوجهه الكريم[٢]، أما الدعاء فهو من وظائف الإنسان الفطرية التي بعد الإيمان لأنه كما يقول النورسي "أساس العبادة ومخها " فالعبادة لابد أن تكون خالصة لله، وان يتوجه الإنسان إلى الله بالدعاء مظهرا عجزه، مع عدم التدخل في إجراءات ربوبيته، أو الاعتراض عليها، وان يسلم أمره كله والتدبير إليه وحده، وان يكون الإنسان مطمئناً إلى حكمة خالقه من دون اتهام لرحمته ولاالقنوط منها "[٣]، فـ"الدعاء " له تأثير عظيم يسخر بسببه الاشياء واعظمها لا ضعف الأشياء وأصغرها[٤]، والدعاء "عبادة " وثمرة العبادة في الآخرة، وان المقاصد الدنيوية كما يصفها النورسي "أوقات تلك الأدعية التي هي عبادات مخصوصة بأوقات مخصوصة "[٥].

ومن صفات المؤمن "الصبر" يقول النورسي: " ففي كل مصيبة توجد درجة من النعمة.."[٦]، فالمصيبة مثلا عند المرض هي لطف رباني، وفي هذا المقام يضرب لنا النورسي مثلاً عظيما في الصبر على الضر في قصة سيدنا أيوب عليه السلام، لان الإنسان قد حباه الله بـ "قوة الصبر"، فلا يجوز إذن الشكوى "بل الشكر لله تعالى عليه، وهنا يخلص النورسي إلى درس عظيم مفاده "إن الشكر مثلما يزيد النعمة فالشكوى تزيد المصيبة وتسلب الترحم والإشفاق على صاحبها "[٧]. ثم إن من يستمع إلى "رسالة المرضى" حيث يقول عنها " في هذه اللمعة نبين خمسة وعشرين دواء بيانا مجملاً تلك الأدوية التي يمكن أن تكون تسلية حقيقة، ومرهما نافعا لأهل البلاء والمصائب وللمرضى العليلين الذين يمثلون عشر أقسام البشرية "[٨]، فالعاقل من تفيأ بظلال الشكر

(١) النورسي، مختارات من المثنوي ، ٣٣-٣٤.
(٢) مرشد أخوات الاخره: ٨٢-٨٥
(٣) الإيمان وتكامل الإنسان:٣١.
(٤) مختارات من المثنوي:٣٦.
(٥) مختارات:٨٤-٨٥.
(٦) لوامع :٥٠.
(٧) زهرة النور : ٥٢ ، ٥٥.
(٨) زهرة النور: ٧.

عند الابتلاء وإذا ما اشتدت وطأته تمسك بالصبر الجميل يقول النورسي: يجب التفيؤ بظلال الشكر وإذا ما اشتدت وطأته –أي المرض – كثيراً فعليك بالصبر الجميل [١]، أما "الإخلاص" فهو صفة محمودة ،ومعناه شرعا إفراد الحق (سبحانه وتعالى) في الطاعة بالقصد، أي تصفية الفعل عن ملاحظة المخلوقين[٢] وقال تعالى ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ (الزمر: ١١)" وليس غريباً إذن أن يصف النورسي الإخلاص بانه " أساس الإسلام ،وابتغاء رضى الله"[٣]، لان الإخلاص هو تصفية عمل المسلم من شوائب سواء أكان مصدرها الخلق أو النفس، وأصل ذلك النية، قال صلى الله عليه وسلم (إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ)[٤]، وهنا يبين النورسي منزلة النية بقوله: " النية أكسير عجيب تقلب بخاصيتها العادات الترابية والحركات الرملية، إلى جوهر العبادة، روح نافذ نحيا به الحالات الميتة فتصير عبادات حيوية فالنية روح وروحها: الإخلاص، فلا خلاص إلا بالإخلاص، ويمكن بالنية عمل كثير في زمان قليل فيمكن اشتراء الجنة، ويصير المرء شاكراً دائماً"[٥]، فـ" النجاة " في الإخلاص " وهنا يقول النورسي: إن محور النجاة ومدارها الإخلاص ... إذ ان ذرة من عمل خالص أفضل عند الله من أطنان من الأعمال المشوبة [٦]، بل شدد على أهمية الإخلاص في الوقت الحاضر قائلاً: " إن ألزم شيء واهم أساس في التربية الإسلامية وأعمال الآخرة، إنما هو "الإخلاص"[٧]، أما التوكل على الله فهو الثقة والاعتماد عليه وتفويض الأمر إليه واليقين المطلق بان قضاءه نافذ ورزقه ميسر والتوكل محله القلب قال عز وجل ﴿وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ (إبراهيم: ١٢) ، فاليقين بالله والتسليم بقضائه يحقق التوكل[٨]، وهنا ينبه النورسي الإنسان فيقول له مخاطباً "أيها الإنسان البعيد عن التوكل: ارجع إلى صوابك وعد إلى رشدك

---

(١) زهرة النور :٩.

(٢) عبد المجيد – الفضائل والأخلاق: ٨٠.

(٣) تنبيه حملة القرآن إلى دسائس الشيطان، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ط١، مطبعة اوفسيت الزمان (بغداد: ١٩٩٢):٨.

(٤) صحيح البخاري باب بدء الوحي.

(٥) مختارات من المثنوي :٢٨.

(٦) حقائق الإيمان: ١١١

(٧) مرشد أخوات الآخرة والإيمان: ٩.

(٨) الإيمان وتكامل الإنسان :٢٦.

وتوكل على الله لتتخلص من الحاجة والتسول من الكائنات ولتنجو من الارتعاد والهلع أمام كل حادثة، ولتنقذ نفسك من الرياء والاستهزاء ومن الشفاء ومن أغلال مضايقات الدنيا[١]، فلقد هيا الله عزوجل أسلحة بيد المؤمن تكفي لان يتصدى لكل مفاسد الأرض وشرورها فـ"التقليد" تتم مواجهته بالآية الكريمة ﴿وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ (إبراهيم: ١٢)، و"التسويف" نتحداه بالحقيقة الشاملة "لايضركم من ضل إذا اهتديتم" و"التدخل في ماهو موكول أجره إلى الله "تتم معالجته بالآية الكريمة ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾ (هود: ١١٢) و"حب الراحة والدعة الذي هو أم المصائب كما وصفه النورسي تتم مواجهته بالآية الكريمة "وان ليس للإنسان إلا ماسعى" تلك هي إحدى جوانب المناظرات التي يستحضرها النورسي من فيض القرآن وأحكامه[٢]. وهنا يذكر النورسي في مقالته الرجوع والمآل إلى حقيقة ساطعة قرآنية فيقول: "اعلم أن في اكثار القرآن للمال: بشارة عظيمة وتسلية جسيمة وان تضمنت للعاصي تهديدا "[٣]. وهنا يحذر النورسي ذلك الإنسان مخاطباً إياه قائلاً: "إذا ماتباهيت بقدرتك وأنانيتك، وتخليت عن الدعاء والتوكل، وتكبرت وزغت عن الطريق الحق والصواب، ستكون اضعف من النملة والنحلة، بل أضعف من الذبابة والعنكبوت، وستكون أثقل من الجبل وأضر من الطاعون "[٤]، وينقلنا النورسي عبر عوالم النور والهداية الى الشفقة والرحمة، حيث يقول النورسي: "إن الشفقة ... هي ألطف وأجمل وأطيب وأحلى تجليات الرحمة الإلهية[٥]، فالوالدة الحنونة "تضع نصب عينها كل فداء وتضحية لتمنع عن ولدها المصائب والهلاك لتجعله يستفيد ويفيد في الدنيا"[٦] بل بيّن منزلة الشفقة في منهجه قائلاً: " إن الشفقة أهم أساس من الأسس الأربعة في مسلكي ومشربي في الحياة،[٧] ويخلص إلى "أن أسمى ما في الدنيا من الحقيقة هو شفقة الأمهات والآباء حيال

(١) الإيمان وتكامل الإنسان :٢٧.

(٢) حقائق الإيمان : ٧٥-٧٦.

(٣) مختارات :٨٥.

(٤) الإيمان وتكامل الإنسان :٣٦

(٥) مرشد الشباب : ٢٠٨.

(٦) مرشد أخوات الآخرة والإيمان :٧.

(٧) مرشد أخوات الآخرة :٨

أولادهم"[١] ثم يحث النورسي على إفشاء الرحمة بين الناس[٢]، بل أن قصة النورسي عندما أراد أن يبني غرفة على جبل أرك، ولما بدأ الحفر وجد مملكة للنمل فلم يقبل الحفر في المكان[٣]، وفي قصة أخرى يضرب النورسي مثلاً في الرأفة بالكلب[٤].

ولم يقف النورسي رحمة الله عند حدود الفضائل التي تنبغي أن يتجلى بها المؤمن فحسب بل نبه إلى خطورة أمراض القلب التي يقع في شركها الإنسان ومنها "التكبر" فقال: " إن مقياس العظمة في الكاملين هو التواضع، أما الناقصون فميزان الصغر فيهم هو التكبر[٥]. وحذر من "المبالغة " قائلاً "إذا وصفت شيئاً فصفه على ما هو عليه ... إن المبالغة في المدح ذم ضمني، لا أحسان أكثر من الإحسان الإلهي "وبين أن "الشهرة "مستبدة ظالمة، إذ تملك صاحبها مالا يملك [٦]" ونوه إلى أن من بين دسائس الشيطان دسيسة "شباك الطمع وفخه "وجوابه في التصدي لهذه الآفة بالحقيقة التي قالها: " إن الرزق الحلال يأتي بنسبة العجز والافتقار لا بدرجة الاختيار والاقتدار وحذر من "الأنانية والغرور الكامن في الإنسان " وقال": إن خطر واضعف عرق ينبض في الإنسان إنما هو عرق الغرور، وحذر من "أنا " مجيباً إن الخدمة القرآنية التي اجتمعنا عليها ترفض " انا " وتطلب "نحن "، وحذر من أهل الغرور العلمي "علماء السوء " كما حذر من إثارة " النعرة القومية " وجوابه "أخوة صادقة أبدية وحقيقة بالأمة الإسلامية، وعلاقة وثيقة بالوطنية [٧] وقال: " اعلم أن العصبية العنصرية الجاهلية ما هي إلا غفلة النفس البشرية عن حقيقتها" أما علاجها وبديلها فهي "الحمية الإسلامية فهي النور المنعكس من ضياء الإيمان "[٨] وكان النورسي مقتصدا جداً، وكان يعلم طلابه الاقتصاد في كل شيء، وينبذ الإسراف،كما كان لاياكل شيئاً إلا ويتأكد من مصدره ونظافته[٩].

---

(١) الشيوخ ـ ترجمة إحسان قاسم الصالحي ، مطبعة الزهراء (الموصل :١٩٨٤):٨٨.

(٢) زهرة النور: ٢٤-٢٥، ٣٥.

(٣) ذكريات عن سعيد النورسي :١٦- ١٧.

(٤) ذكريات عن سعيد النورسي :٣١-٣٢.

(٥) لوامع :٥٠، ٥٤.

(٦) لوامع:٣٩-٤٠.

(٧) تنبيه جملة القرآن : ١٢، ١٤-١٥ ،٢١-٢٣.

(٨) مختارات من المنثوي : ٤١.

(٩) ذكريات عن سعيد النورسي : ٥٨-٥٩ .

- **الإسلام علاج شاف للبشرية**

إن مجمل ماطرحه النورسي من قيم أخلاقية قرآنية يؤكد حقائق لاحياد عنها وخلاصتها أن الإسلام علاج شاف البشرية جمعاء وان ماحل فيها من ويلات وحروب ونكبات ما هو الابسبب الابتعاد عنه، وهكذا الإنسان فان امتثل بالأوامر القرآنية فانه سينال الحياة الأبدية الباقية، وبعكس ذلك وهم أهل الضلالة فسيكون "نصيبهم السقوط والانحطاط تحت أمر النفس الأمارة بالسوء[١] وسيكون قرينا للشيطان ومتقمصاً ماهيته"[٢]، أما " المدنية الإسلامية" القائمة على أخلاق القران الكريم وسنة المصطفى صلى الله عليه وسلم فستحل محل المدنية الغربية الحاضرة، بينما أسس مدنية القرآن الكريم فتقوم على أسس ايجابية، فهي مبنية على: الحق الذي ينتج عنه "العدالة والتوازن والسلام وزوال الشقاء فهي "الدين والانتساب الوطني وأخوة الإيمان " وشأن هذه الرابطة أخوة خالصة وتطرد العنصرية والقومية السلبية[٣]، ولقد وعى النورسي رحمه الله وقرأ بفراسة المؤمن خارطة المستقبل ونبه إلى عدم الانجرار وراء التقليد الأوربي والتخلي عن الإسلام[٤].

وما أشبه اليوم بالبارحة فها هو ينذر قبل أكثر من نصف قرن المآل الذي ستعيشه البشرية جراء تفاقم الأزمة الاقتصادية حيث يقول أنها "القت ثمانين بالمائة من البشر في شقاء لتعيش عشرة بالمائة منها في سعادة مزيفة " أما العشرة الباقية منهم حيارى بين هؤلاء وهؤلاء، وهنا يشير إلى " تجمع الأرباح التجارية بأيدي أقلية ظالمة "محذراً من معضلة العصر التي تكمن في وجه من وجوهها" بأبواب الربا ووسائطه التي تمثلها البنوك"[٥]، وعلاوة على ذلك فقد استشعر مخاطر الفلسفات الغربية المادية الملحدة التي سببت وتسبب حمى مهلكة في البشرية[٦].

---

(١) الإيمان وتكامل الإنسان ٣٧-٣٨.

(٢) حقائق الإيمان ٥٨.

(٣) لوامع ٣٢-٣٤.

(٤) لوامع ٣٠.

(٥) لوامع : ٣٤-٣٦، ٥٩.

(٦) لوامع ٥٨.

واخيراً وليس آخراً فقد بيّن أن ما أصاب المسلمون كان بسبب إهمال أركان الإسلام وترك الفرائض من صلاة وصيام وزكاة " وتأسيسا على ذلك فلابد من العودة إلى "عدالة الإسلام " فهي "عدالة القرآن الكريم "التي لاتضحي بحياة برئ واحد ولا تهدر دمه لأي شئ كان[١].

إن النورسي رحمه الله وهو يحلل ما آلت إليه حضارة الغرب ماضياً وحاضراً لم يكن بذلك يدعو إلى الانغلاق، "أن في المدنية محاسن كثيرة وإنها ليست من صنع هذا العصر، بل هي نتاج العالم وملك الجميع" وهي بضاعة نشأت من الانقلاب الذي أحدثه الإسلام[٢].

المصادر

١. الأصفهاني، الراغب أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل – الذريعة إلى مكارم الشريعة تحقي أبو اليزيد العجمي، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع (مصر : ١٩٨٧) .

٢. البخاري، أبو عبداله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم – صحيح البخاري، نشر دار التراث العربي (بيروت : دت) .

٣. بروكلمان – كارل – تاريخ الأدب العربي ، نقله إلى العربية د.رمضان عبدا لتواب ، دار المعارف (مصر : ١٩٧٥) .

٤. ابن تيمية – السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية دار الكتاب العربي (القاهرة : ١٩٦٩) .

٥. الجابري ، محمد عابد –العقل الأخلاقي العربي ، ط١، نشر مركز دراسات الوحدة العربية (بيروت: ٢٠٠١) .

٦. الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، موقع الوراق ، (شبكة المعلومات العالمية).

٧. الزر كلي –الأعلام ،ط٣، (بيروت:١٩٦٩)

٨. عبد المجيد – نزار عبد الغفار – حي على الفلاح (الفضائل والأخلاق ، ط٤، نشر مطبعة الميناء (بغداد:٢٠٠٢).

٩. الغزالي، أبو حامد – ميزان العمل ، نشر سليمان دينا ، دار المعارف (القاهرة : ١٩٦٤) .

١٠. الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب ، أدب الدنيا والدين ، نشر دار الكتب العلمية (بيروت : ١٩٩٣) .

---

(١) لوامع :٤١.

(٢) لوامع :٣٧.

١١. النحاس، أبو جعفر احمد بن محمد –شرح القصائد التسع المنشورات تحقيق احمد خطاب، دار الحرية (بغداد:١٩٧٣)ق١.

١٢. النورسي، سعيد الشيوخ ، اللمعة السادسة والعشرون من كليات رسائل النور ، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، مطبعة الزهراء (الموصل :١٩٨٤)

١٣. الثمرة من شجرة الإيمان "من كليات رسائل النور " ترجمة احسان قاسم الصالحي ، ط١، مطبعة الزهراء (الموصل: ١٩٨٥) .

١٤. الخطبة الشامية ، ترجمة إحسان قاسم ،دار الاحمدية (البيضاء :٢٠٠١).

١٥. رسالة الحشر، من كليات رسائل النور "الكلمة العاشرة " ترجمة احسان قاسم الصالحي، "٢، مطبعة العاني (بغداد: ١٩٨٤).

١٦. زهرة النور "سلوه المرض وعزاء المبتلين "من كليات رسائل النور، ترجمة احسان قاسم الصالحي ، ط١، مطبعة العاني (بغداد :١٩٨٤).

١٧. الإيمان وتكامل الإنسان من كليات رسائل النور ، ترجمة احسان قاسم الصالحي ، ط١، نشر مكتبة القدس (بغداد:١٩٨٤) .

١٨. تنبيه حملة القرآن إلى دسائس الشيطان ، ترجمة احسان قاسم الصالحي، ط١، مطبعة اوفسيت الزمان (بغداد: ١٩٩٢).

١٩. ذكريات عن سعيد النورسي ترجمة أسيد احسان قاسم، ط١/مطبعة الحوادث (بغداد : ١٩٨٦).

٢٠. السنة النبوية سنة كونية وحقيقة روحية، عرض وتعليق أديب إبراهيم الدباغ ، ترجمة احسان قاسم الصالحي ، ط١، مطبعة اوفسيت الشعب (بغداد : ١٩٨٥).

٢١. حقيقة التوحيد أو التوحيد الحقيقي من كليات رسائل النور ترجمة احسان قاسم الصالحي، "١، مطبعة العاني (بغداد: ١٩٨٥). الطبيعة، عرض وتعليق أديب إبراهيم الدباغ، ترجمة احسان قاسم الصالحي، ط١، مطبعة الزهراء (الموصل: ١٩٨٥).

٢٢. لوامع في معارف الإيمان وأدب القرآن من كليات رسائل النور، ترجمة احسان قاسم الصالحي ، ط١، مطبعة اوفسيت الزمان (بغداد : ١٩٩٢) .

٢٣. مختارات من المنثوي العربي النورسي ، اختارها وقدم لها: أديب إبراهيم الدباغ، ط١، نشر مطبعة الزهراء الحديثة (الموصل : ١٩٨٣) .

٢٤. مرشد أخوات الآخرة والإيمان، من كليات رسائل النور، ترجمة احسان قاسم الصالحي ، ط١، مطبعة الحوادث (بغداد: ١٩٩٠)

٢٥. مرشد الشباب للنجاة في يوم الحساب، ترجمة احسان قاسم الصالحي ، ط١، (القاهرة : ١٩٩٧) .